

## قراءة في كتاب

### د. علي جاسم سلمان

كل نص قابل للقراءة ، وكل قراءة قابلة للاقتراق أو الاقتراب من غيرها ، وذلك إذا وجهت قراءات لتبيان نص ما ، ولا سلطة لقراءة على غيرها ، لتفرض اشتراطاتها أو مرجعياتها ، لتباين الرؤى تبين موجهات المتبينين . وحين نتفحص ما كتب حول القرآن العظيم تفسيراً وتأويلاً منذ نزوله الكريم وصولاً إلى عصرنا نجد ما اشرنا إليه – بعد دفع اعتماد اللاحق على السابق – وأهل التبيين – قديماً وحديثاً – حاولوا الولوج في تفسير القرآن وتأويله ، واستظهار ما استبطن في رحمه الكريم ، وفي كل قراءة لنص ما ينهض صاحبها إلى إعانة من لا يستطيع أن يفهم النص ، بما ينضوي فيه ، لعدم تمكنه من منهجية التفكير ، التي بها يصير المتبين وسيطاً ، يستعين بقدراته للإفهام ، وليقدم إلى المتلقي قراءة للنص توصله إلى قصيدته ، ما استطاع وفي موروثنا العربي ، والإسلامي كم من القراءات التي وظفت جهداً ، وعنايتها لخدمة القرآن العظيم ، وهي تختلط لها مناهج عديدة عالجت فيها جانباً ، أو جوانب ، مما توافر عليه هذا النص المقدس ، ولما كان القرآن نصاً يتسم بالسعة ، والثراء والانفتاح حتى قيام الساعة ، فإن قبوله تعدد القراءات أمر يدل على ثرائه وديمومته وإعجازه ، إذ ليس بمقدور مدع أن يظن أنه أحاط علماً بكل ما تضمنه سوى المصطفى الأمين (ص) الذي تمثلته ذاته الكريمة أبين ، تمثيل لأنه خاصته وخاصة ، من مَنْ تعالى عليه فما وراء نصه تجليات تحتضن عمقا وأسراراً تبقى مغيبة ، كان الثراء المعرفي للقرآن الكريم قد فتح للمدركين فضاءات لتبيين آياته وتدبرها ومحاولة تبصرها وهي لا تحدها حدود ، فظهرت عبر التاريخ قراءات عديدة لهذا النص المقدس ، وتلك التعددية يمكن فهمها على أساس أن النص الكريم يضم وراء ظاهره عمقا أو باطنا فضلاً عن ظاهره يبقى بحاجة -على مر الزمن- إلى الكشف والتبيين ، فهو نص تنضوي فيه معارف الكون وأسراره التي أودعها إياه البارئ تعالى وليس بوسع القراءة الواحدة القبض على كل جوانبه ، فسلطته سلطة الواحد الأحد ، وأن مجمل القراءات التي صدمت عنايتها لتفسير القرآن وتأويله قديماً وحديثاً - مع بعض الاستثناءات - تتماثل مع بعض الفروق الفردية ، ونلمس تبايناً في الأسلوب ، والتحليل ، والمنهجية ، وكل هذا يتراوح بين من يفعل ومن لا يفعل ، سوى إعادة صياغة ما قاله السابق ، وكثير منها وقف عند ظاهر النص ،

ولذلك يبقى المتعطشون لفهم الدلالات العميقة والدقيقة لما جاء به الذكر الحكيم بحاجة إلى قراءات متجددة بتجدد عصورهم فأبوية القراءات لكل البشر عبر عصورهم المختلفة ، و(المختصر) دراسة جديدة جعلت جل عنايتها لتبين دلالات آيات ضمها رحم سورة البقرة من قوله تعالى (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة....) الآيات ( ٣٠ - ٣٤ ) .

وصاحب هذه الدراسة باحث عراقي يعلن عن نفسه أول مرة في هذا الكتاب وهو السيد عباس ال وهب الشمري والكتاب صدر عن مؤسسة البلاغ اللبنانية ، ويبدو لي من قراءة هذا الكتاب انه يحقق بغية من يبحث عن جديد الدراسات القرآنية فضلا عن كونه يثير إشكالات عديدة حول ما وصل إلينا من كتب تفسير القرآن .

البحث يجتهد بألية إدراكية تمحورت حول النص موضوع الدراسة متفحصة بعمق ، رابطة الفكر بالغة ، لتوسع دائرتها الدلالية ، وتسمية الكتاب (بالمختصر) ، لإرادة جهة السعة لا الكم ، والإجمال لا التفصيل فالباحث يرى (إكل بحث في كلام الله سبحانه هو من المختصر ، بل كلما ازداد الكم فيه ، والتفصيل فقد ازداد تصفة الاختصار فيه ، وآية ذلك إن قوله تعالى عندما يتلقاه قلب عبد إما أن يتحقق فيه مباشرة فيكون نوراً لبيانه التام ، فلا يحتاج لتحقيقه إلى بيان ، وتدبر ، وتفسير وذلك قلب الرسول الأكرم (ص) ، وأما ما يحتاج لتحقيقه إلى بيان ، وتدبر وتفسير فذلك حال عباد الله من دون المصطفى منهم وهو من مصاديق اختصار القول لعدم إمكان نوال إجماله وبعد ذلك مهما وضع من تفاسير لبلوغ معناه فإنه سيتجه للاختصار ) . ص 9 إن البحث اجتهد يحاول الاقتراب من مضمون النص القرآني من خلال تلك الآيات المختارة فسار على هديها ، بعد أن فعلها في ذاته، مستمدا ما يقول من نورها المبين ، وقارئ الكتاب يستطيع الإمساك بصاحبه الذي احتوته صفحات البحث وهو يقدم قراءة دلالية تحليلية للنص الكريم ، يتم فيها البحث عن معنى النص من خلال تقديم فرضيات تخضع لمعيار الصلاحية ، بالدليل الدلالي المقدم في النص بقرائنه العديدة ، ليوصل الملتقي إلى ما غاب عنه ، والمعنى العام عذده تحتضنه لسانية النص ، التي صهرت أفق الباحث فأفاضت فهما جديدا بعد أن خشد أكبر قدر من القرائن والدلائل ، لتعزيز ما يذهب إليه وقارئ الكتاب يجد نفسه غير ممسكة بستراتيج معين من الإستراتيجيات التي اعتمدها كتب تفسير القرآن فالباحث للوصول إلى مبتغاه كان يستفيد من كثر من الإستراتيجيات السابقة ص 12، 35، 166، 170، 169، 199، 3، 2، 5، 2، 288.

وهذا يحسب للباحث ، لعدم وقوعه في اسر اتجاه معين، وعليه لعدم وضوح إستراتيجيته في البحث، مع ذلك يمكن القول إن المنهج الغالب على قراءة الشمري هو القائم على المباحث الدلالية للكلمة

القرآنية على وفق السياق الذي ترد فيه، مدلا عليها بأية ، وثانية ، وثالثة ، أي يدل على النص بالنص ، أو بالنصوص، وهذا النهج قد هيمن على مباحث الكتاب ، ولم يغادره الباحث في كل ما قال ، وإذا كانت استعانة الباحث للوصول إلى قصدية النص الكريم بالسعة الدلالية للكلمة القرآنية ، فإن هيمنة سلطة النص المقدس عليه قد فتحت له أبوابا لتبيين آياته مستعينا بما ورد عن نبي الرحمة (ص) ص 90، 113، 115، 151، 171، وعن آل بيته الأطهار ص 21، 28، 30، 34 ، 519، فضلا عن موجهات أخرى ص 155، 164، 180، 183، 512 ، وقد ساعد ذلك الباحث على فهم النص الكريم، فضلا عن إمساكه بحقائق معرفية ظهرت على السطح لتعزيز ما يقول ، إن صاحب (المختصر) في أغلب مباحثه ، حاول أن يؤسس له فهما خاصا للنص الكريم بعد أن فك أسره مما رآه السابقون بما أضاف أو حذف ، 15، 22، 24، 51، 172، 184 ، 189، 197، 222، 254... الخ على الرغم من أن تباينه مع السابقين ، لا يصل حد المفارقة مع بعضهم ولقد افاد تهمته القراءة كثيرا من باطن النص الكريم ، ولذلك مال الباحث كثيرا إلى التأويل، لا التفسير مستندا إلى موجهات عديدة وبخاصة من الذكر الكريم ، ينظر مثلا : (الفساد وسفك الدماء، والتسبيح والتقديس في قول الملائكة والأسماء ، والعرض ، وهؤلاء، والروح والشجرة ، وعصمة داود) ، وهذا القدر ليس سهل المنال خيل المغزى من باطن النص -فالمعرفة اللغوية - ولا سيما مع قارئ القرآن - لا تكفي لإدراك باطن النص ، واستخلاص فائضه ، ما دام النص الكريم لا ينقطع عن الكلام ، ليتمكن من استيعاب ما تيسر له ، ومما يلاحظ على هذا الكتاب أنه كثيرا ما يعرض الآراء التي لا تتوافق مع ما يذهب إليه ، ويرد عليها بلغة عالية وأسلوب جدلي قائم على الرد والإقناع ، يقف وراءه ثقافة كلامية ومنطقية (ينظر مثلا : وقفة مع الرازي) ، وهذا يؤشر الحضور الفاعل للباحث ، بل يمكن القول : إن (المختصر) يمثل رأيا حاضرا لصاحبه في كل مباحثه ، وإذا كانت الآيات الكريمة التي خصصت للدراسة في هذا الكتاب قد فتحت لها آفاقا جديدة مقارنة مع الدراسات السابقة ، فإنها لا تخلو من مخاطر أو من توجس صاحبها من قارئه لأنها تفتح منفذاً لقراءات جديدة للنص الكريم ، فضلا عن اختراقها كثيرا من القراءات السابقة وهي تعيد النظر إلى ما رسخ من قراءات قبلية لتؤكد على، أن ديمومة القرآن العظيم تطالب أهل التدبر ، والتبيين بدوام قراءته ، لكشف ما يمكن من تلك السعة اللامتناهية .